النـقد النحـوي بـين الأصـالة والتـجـديد

الأستاذ الدكتور
علي كاظم مشري
المدرس المساعد
عصام عدنان الياسري
جامعة القادسية ـ كلية الآداب
Alyasri75@gmail.com

Grammar between originality and innovation

Prof. Dr.
Ali Kazem Mushri
Lecturer. Asst.
Essam Adnan al-Yasiri
University of Qadisiyah - college of Arts

المُلخص:

يهدف البحث إلى التعرف على مواقف القدماء من نقد النحو العربي واتجاهات ذلك النقد، ومن ثَمّ التوصّل بعد ذلك إلى أصالة هذه الظاهرة عند القدماء، والتعرف على صور النقد النحويّ واتجاهاته عند المحدثين من الباحثين العرب، وكذلك استعراض بعض آرائهم للتعرف على التوجه العام الذي سلكه المحدثون في النقد النحوي ليتضح بعد ذلك أنهم سلكوا طرائق متعددة في نقد النحو العربي، كما أثبت البحث ريادة القدماء في نقد النحو.

الكلمات المفتاحية: النقد، النحو، النحاة، المناهج، الأصالة، التجديد، الحديثة، الأحكام.

Abstract:-

The research aims to identify the positions of the ancients of criticism Arabic grammar and trends that cash, and then reached then to the authenticity of this phenomenon to the ancients, and to identify the images Monetary grammar and trends when modernists of Arab researchers, as well as review some of their views to get to know the general trend has pursued Modern grammar in cash for yet clear that they have taken the multiple modalities in the criticism of Arabic grammar, as demonstrated by research leadership in the criticism of the ancient way

key words: Criticism, grammar, grammar, curriculum, originality, innovation, modern, judgments.

١- أصالة النقد النّحوي في فكر النحاة القدماء.

عرف عن القدماء حرصهم على نقاء لغة التنزيل، وحفاظهم عليها من زلل الناطقين بها، وتنزيهها من فشو اللحن وتداخل اللُّسُن من غير لسان أهلها الناطق بها[١]، و قد انطلقوا فيما يخص ذلك - بحسب ما أعتقد - من قدسية الواضع (الله) وقدسية اللغة نفسها؛ لذا كانوا حريصين على الحفاظ عليها نقيةً، و كان هذا الحرص دافعا رئيساً لظهور النّحو، و قد أعقب ذلك ظهور ذلك التراث النحوي الذي يُعدُّ بحق مفخرة العربية المنقطع النظير في سائر اللغات الأخرى.

وتجب الإشارة إلى أن النقد النحوي قد كان ظهوره متزامناً مع ظهور النحو ونشأته، والدليل على هذه النتيجة أن النحاة الأوائل قد جعلوا السليقة اللغوية أساساً في تشخيص الأخطاء التركيبية - بحسب ما يعرف في أيامنا هذه - واللحن التي أسقطت على اللغة لأسباب عديدة منها اختلاط الألسن، وأعتقد أنّ هذه القضية بعينها هي التي منطلقا لوجود النقد النحوي، ويعضد ما أذهب إليه أن العرب كانت تنزل اللحن منزلة الضلال في الدين، وأشهر المعاني التي يدلُّ عليها اللحن هو الخطأ ومجانبة الصواب[٢]، وقد نقل ابن جني (ت٣٩٢هـ) حديثا عن الرسول ﷺ حين لحن شخص في حضرته، فقال: ((أرشدوا أخاكم فقد ضلّ))[٣] ومن جانب آخر لو تلمّسنا الروايات التي تعرضت لذكر أسباب نشأة النحو وبخاصة ما روي عن أبي الأسود (ت٦٩هـ) وابنته وما دار بينهما من حديث[٤]، وكلامه مع الإمام علي عليه السلام[٥]، فإننا نجد أن أغلب هذه الروايات تربط ظهور النحو بملاحظة اللحن والخطأ في التراكيب والأساليب النحوية.

ولعل من الراجح أن القداسة التي كان القدماء يولونها القرآن قد انعكست على الدراسة النحوية، وذلك في خشيتهم من وقوع اللحن فيها - أقصد اللغة - فحاولوا أن يضعوا لها أحكاماً وقواعد ضمنت الحفاظ على سلامتها[٦]، وأعتقد أنّ التفكير النقدي عندهم قد بدأ من هنا، فحاولوا توظيفه توظيفاً نحويا مع بدايات ظهوره ونشأته من محاولاتهم البحث عن الضوابط، والأحكام التي كانوا يتلمسون الطريق إلى إيجادها ويسعون إلى استعمال تراكيبها، وأبنيتها ومعانيها[٧] - كما صارت إليه القاعدة النحوية فيما بعد - وقد ارتبط النقد النحوي عندهم أول الأمر بالملاحظة الذاتية، فلم يكن قائماً على

قاعدة ثابتة أو أساس واضح، بل كانوا ينقحون ويصححون ما وقع فيه الخطأ والغلط، وقد ذكر الدكتور بدوي طبانة أن الطابع الموضوعي هو السائد في نقد العرب للغة ممثلة بالشعر والنثر[٨]، وكثيرا ما كان العربي يحاول إطلاق أحكام نقدية موجزة لا تحمل تعليلا، ولا تستصحب أسبابا فهي لم تتأثر بمنهج عقلي، أو نزعة علمية[٩].

وبعد ذلك فقد شُغِلَ نحاتنا ولغويونا بالبحث عن الصحيح، والقويم الذي يقوّمون به ألسنة المتكلّمين بحسب لغة التنزيل، فنجد في آثارهم كثير من النحاة القدماء ألفاظا مثل: (القبيح، والممتنع، والخطأ...)[١٠]، ولعل مثل تلك الأحكام قد كانت بدايات النقد النحوي الذي اتجه اتجاها آخر يدخل فيه التنظير، مع الميل إلى جعله نقدا علميا بعد كانت بداياته موضوعية لا تخضع لقاعدة ، أو أنه قائم على تعليل كما أسلفت من قبل.

وربما كان النقد النحوي أكثر دنوا للغة من سائر أنواع النقد الأخرى؛ لأنّه يكتسب القرب من النحو نفسه ، فقد وظف النحو واستعمل في كثير من المواضع لاستكشاف أسرار النصوص الشرعية، ومعرفة أحكامها[١١]، وقد ظلتْ عناية النحاة مرتبطة بصحة التركيب النحوي واستقامتها، فقد حرصوا أشدّ الحرص على أنْ يكون التركيب صحيحاً، موافقا فصيح الكلام، مطابقا للأصل النحوي الذي جعلوه معياراً بعد ذلك للخطأ والصّواب

ومن مظاهر النقد النحوي في أوّلياته تخطئة النحاة للشعراء، ومحاكمتهم على الخطأ وحملهم على الصواب و تقويمهم نصوصهم الشعرية، ومن ذلك ما روي عن عبد الله ابن أبي إسحاق الحضرميّ (ت١١٧هـ) في ما نقد به الفرزدق على رفعه لفظة (مجلّف)، في قوله[١٢]:

وعض زمان يا ابن مروان لم يدع من المال إلاّ مسحتاً أو مجلّف

فالحضرمي يرى في رفع (مجلف) خروجاً عن الأصل النحوي.

ونجد ذلك واضحاً عند سيبويه (ت١٨٠هـ) الذي نجد كثيرا من مظاهر النقد النحوي متداخلةً في كتابه، ولعلّ أبرزها باب (الاستقامة من الكلام)[١٣] الذي وضعه في الكتاب، و(الاستقامة) تعني: ((الذي تمّ فيه مراعاة قواعد الجملة العربية من حيث الأصوات، والتركيب، والدلالة))[١٤]، وربما لم يكن هو أو غيره من النحويين قاصدين النقد النحوي لذاته؛ ولذلك فقد تباينت الطرق والأساليب عولجت فيها المادة النحوية بحسب اتجاهات

النقد عن القدماء، ويغلب على النقد النحوي عند القدماء الطابع الشخصي المطبوع بالطابع الذاتي الفردي في كثير من الإجراءات و الممارسات النقدية.

وأحسب أنّ النقد النحوي عند القدماء قد كان يتوزع على اتجاهات وصور عدة منها: (نقد القاعدة النحوية، والموضوعات النحوية ، ونقد الآراء والمذاهب النحوية، ولعل هذين النوعين أكثر أنواع النقد النحوي شهرةً عندهم و قد يتخللهما أنماط أخرى أقلّ شهرة من هذين النوعين كالنقد الذي يكون في المجالس النحوية، أو نقد المصطلح النحوي، ونقد الأمثلة والشواهد النحوية أيضاً، كما ظهر عند بعض النحاة نقد لبعض المتون النحوية)، ويمكن أن يعد من نقد القواعد والموضوعات النحوية محاولة قطرب محمد بن المستنير (ت بعد ٢١٠هـ) وهو تلميذ سيبويه، فقد نقل عنه عدم موافقته النحاة في أمر العامل، والعلة النحوية.

وكذلك ابن مضاء القرطبي (ت ٥٩٢ هـ) الذي ضمن كتابه (الرد على النحاة) مباحث رفض فيها العامل ودعا فيه إلى إلغائه، ورفض العلل الثواني والثوالث، كما دعا إلى إلغاء القياس والتمارين غير العملية من النحو العربي وموضوعاته[١٥]، وسيأتي الكلام على كثير من آرائه في مواضع عدة من هذه الدراسة.

أمّا ما يخص النمط الثاني من النقد النحوي، وهو نقد الآراء والمذاهب النحوية فهو من الكثرة بمكان إذ يمكنني وصفه بأنّه يشكّل ظاهرة في الدرس النحوي القديم، و من أمثلته ما وقع في مجالس علماء النحو، والمناظرات النحوية بين النحاة من المذاهب النحوية المختلفة، وقد كانت المساجد آنذاك منطلق النحاة والفقهاء، و أصحاب العلوم الأخرى التي كانت حلقات الدرس النحوي أكثرها شهرة و أنفعها للعربية.

وقد أشار الدكتور داود سلوم إلى أن للمجالس النحوية وما ظهر فيها من نقد نحوي ولغوي أثر بارز في إثراء الدرس النحوي ففي مساجد البصرة، والكوفة التي كان لها الفضل في ظهور النحو وانتشاره[١٦]، و فيها أيضاً كانت تعقد حلقات الدرس القرآني، ومجالس النحاة التي كان لها أثر واضح في ظهور المذاهب والمدارس النحوية[١٧]، فقد ذكر الدكتور من ضمن عنوانات كتابه (مقالات في تاريخ النقد العربي) عنوانا وسمه بـ(النقد النحوي واللغوي)، و قد كثر في مجالس العلماء النحوية المناظرات التي احتوى كثير منها نقداً نحوياً، ومن تلك ما وقع بين سيبويه و الكسائيّ (ت ١٨٩هـ) زعيم المدرسة الكوفية من مناظرة

سميت بـ (المسألة الزنبورية)، وقد نقل لنا أبو بكر الزبيديّ (ت ٣٧٩هـ) تفصيل هذه المناظرة التي روي أنّ سيبويه قد قضى على إثرها[١٨]، وعندي أنّ ما نقل عن وفاة سيبويه على إثر ما آلت إليه نتائج هذه المناظرة من غلبة الكسائي عليه مسألة فيها نظر.

وممّن عرف بكثرة مناظراته أبو عمرو الجرمي (ت٢٢٥هـ) فقد وصف بـ(النبّاج)[١٩]؛ لقدرته على المناظرة، وقوته في إثبات ما يذهب إليه، وقد ناظر الفراء (ت٢٠٧هـ) فقيل له: ((كيف وجدت الجرمي؟ قال رأيتُه آية))[٢٠]، وممن اشتهر بكثرة مناظراته وانتقاداته أيضا المازنيّ (ت٢٤٩هـ) و هو شيخ المبرد إذ كان ((لا يناظر أحداً إلاّ قطعه، لقدرته على الكلام، وكان المبرد يقول: لم يكن بعد سيبويه أعلم من أبي عثمان المازني بالنحو، وقد ناظر الأخفش في كثير أشياء كثيرة فقطعه))[٢١]، وقد نقلت لنا كتب التراث كثيراً من تلك المناظرات التي لا يسع المقام لذكرها، و لا حاجة بي الآن لعرضها؛ لأنّ غاية الباحث لا تمتد إلى إحصاء تلك الأنواع ، بل الهدف هو التعرف على وجود هذا اللون من ألوان النقد وأنماطه في التراث النحوي فحسب.

ومن النّقد النّحوي أيضاً نقد الشواهد النحوية فهو من المحاولات النّقدية الأُولى التي أجّجت الخلاف بين قدماء النّحاة، فصار اختيار الشواهد من مصائد النّقد عند النّحاة، ولهم في تخيّرها وانتقائها، آراء وكذلك الأمرُ في قبولها وردّها. بل قد ذهب النُّحاة إلى أبعد من ذلك بأن حدّدوا زماناً ومكاناً لا يمكن تجاوزهما، وقد عُرِفَ في ما بعد بعصر الاحتجاج اللغوي[٢٢].

ولم يقتصر النّحاة في نقد الشواهد على الزمان فحسب، بل تعدى ذلك إلى منع الأخذ عن الحواضر وقصر اللغة على أهل البوادي، وقد حدد النحاة في مواضع كثيرة أنواع الشواهد التي يستدل بها لمسائل النّحو منها: الشاهد الشعري، والشاهد القرآني، وخطب العرب وأمثالها وهم بذلك قد وضعوا ضوابط لأخذ الشواهد الصّائبة والصّحيحة التي يحتج بها لمسائل النّحو، واللغة على حدٍّ سواء[٢٣]، وسيأتي الباحث على ذكر نقد الشاهد النحوي في الفصل الأول من هذه الدراسة.

وبعد فيمكن تصنيف النقد النحوي الذي كان سائداً عند القدماء بحسب المشافهة والتدوين، فمنه ما كان شفاهياً ومنه ما كان مدوناً، ويتضمن الشِفاهي المناظرات النحوية

والنقد الذي نقل عن النحاة القدماء في مجالسهم النحوية أمّا المدوّن منه فهو ما حفظته لنا كتب التراث النحوي ويشمل نقد الآراء، والمذاهب النحوية، ونقد الشاهد وغير ذلك مما وجد في المدونة النحوية.

بقي أمر آخر بودي أنْ أشير إليه أرى من الأنسب أن يكون موضعه ههنا، وهو ما حرص عليه القدماء في التأليف فيه وهو نمط من التصحيح والتصويب، وما رأوه فيه خروجا عن القاعدة النحوية تركيباً، أو دلالةً، وغير ذلك مما يندرج ضمن إطار اللغة بعامة والنحو بخاصة، ومن هذا النوع ما يتعلق بـ (إصلاح المنطق)، و (نقد الفصيح)، التي حرص مؤلفوها على تصويب ما وقع فيه عامة الناس من العرب وغيرهم من أخطاء تركيبية، أو أساليب نحوية ولغوية، ودلالية أيضاً.

٢- نقد النحو في الفكر النحوي عند المحدثين.

لم يرتض كثير من المحدثين كثيراً مما وجد في التراث النحوي سواء كان قاعدة نحوية، أم كان أسلوباً من الأساليب النحوية، أم منهجاً عولج الدرس النحوي القديم على أساسه، ومن خلال استقرائي لكثير من مواقف المحدثين التي نقدوا بها التراث النحوي أرى أنهم أردوا تطبيق مناهج مختلفة، فقد كان يحاول كل واحد منهم إسقاطها على النحو ومن ثمّ تداولها في النّحو مادة، ومنهجا، وشواهد وغير ذلك؛ لذلك فقد تباينت وجهات نظرهم بشأن نقد النحو، وتشخيص مواطن الخلل، ومواضع القصور - بحسب ما يرون - فمنهم من انتقد مادة ذلك التراث العريق متهماً النحو بأنه نحو معياري صارم يُخْضع المسائل النحوية بوجه عام إلى أنظمة قواعدية تربك الدارسين والمتعلمين[٢٤]، ومنهم من رأى أن منهج النحو عند القدماء قد كان متأثر كثيراً بمناهج العلوم الأخرى كالفقه، وعلم الكلام و في نظرهم أن هذا التأثر يبعد الدرس النحوي عن الوصول إلى النتائج المتوخاة من دراسته[٢٥].

وقد سعى بعض المحدثين إلى استبدال منهج الدرس النحوي القديم بآخر يلائم طبيعة الدرس النحوي، ومن أولئك الدكتور مهدي المخزوميّ، فهو على الرغم من ميله الشديد إلى دراسة النحو العربي في ضوء منهج الكوفيين في دراسة النحو إلاّ أنه لم ير فيه المنهج المثالي الذي يمكن الاقتصار عليه في دراسة النحو العربي[٢٦]، وكان يرى في اتخاذ المنهج الوصفي بوصفه منهجا مستوحًى من دراسة اللغة بوجه عام منهجا يدرس النحو العربي في

ضوئه، إذ يقول: ((إنّما يصدرون - يقصد القدماء - عن اعتقاد بأنّ اللغة منطقية... وقد أومأنا إلى أن ذلك خطأ في المنهج؛ لأن اللغة لا تخضع للأحكام العقلية ولا تجري وفق الأسس المنطقية وفق الأسس المنطقية...))[٢٧]، ومن المحدثين من دعا إلى حذف بعض أبواب النحو العربي واختزال موضوعاته، ومن أولئك الأستاذ شاكر الجوديّ[٢٨]، والدكتور شوقي ضيف[٢٩] الذي دعا إلى إلغاء الإعرابين التقديري والمحلي، وغيرها مما وجد في النحو العربي من أبواب كالاشتغال والتنازع في العمل[٣٠].

ومن المحدثين مَنْ دعا إلى تيسير الإعراب، فالإعراب في نظره مشكل لابد من تيسيره للدراسين والباحثين على السواء، و يرى فيه عسراً لا يطيق الدارس المبتدئ والباحث المختصّ أيضاً، وهو الباحث ظاهر شوكت البياتيّ الذي يرى أنّ النحويين قد عملوا على تحويل من وسيلة إلى غاية، فبالغوا في التقدير والتأويل، وحوّلوا الغلط إلى مادة لهذا العلم، لذا اقتضى تيسير الإعراب عنده لما تقدم ذكره.

وليس بودي الإطالة في توجّهات المحدثين التي نقدوا بها ومن خلالها النحو؛ لأني سآتي على ذكر تلك الاتجاهات جميعاً ومناقشتها بشكل يقارب التفصيل في كثير من الأحيان، وتحكيم الرأي الصائب فيها وموافقته سواء كان ذلك الرأي للقدماء أم للمحدثين كل بحسب موضعه من هذه الدراسة.

وبقي أنْ أذكر أكثر آراء المحدثين شهرةً، و أوسعها انتشاراً في أوساطهم، وكذلك أكثرها رواجاً وقبولاً عندهم ألاَ وهي الدعوى إلى إلغاء العوامل والعلة، أو العلل النحوية، وكذلك دعوة بعضهم إلى إلغاء القياس، و أكاد أقطع بعدم خلو كتاب من كتب المحدثين ومؤلفاتهم وبخاصة عند أصحاب التيسير والتجديد النحوي من الدعوى إلى إلغاء العامل، أو في الأقل من مناقشة هذه القضية التي بني التراث النحوي على أساسها.

ومن استقرائي لكثير من آراء المحدثين التي نقدوا بها النحو العربي يمكنني أن أقول: إن تلك الآراء لا يمكن أن تخرج عن اتجاهين مهما كانت طبيعة ذلك النقد، وهما (اتجاه داخلي) يعنى بنقد المادة، والموضوعات النحوية و ما يتعلق بها ويدور في فلكها من قريب أو بعيد، أمّا الآخر فهو (اتجاه خارجي) تدور النقود التي وجّهت للنحو حول منهج الدرس النحوي عند القدماء، ولا أعتقد أنّ كل ما وصل من آراء المحدثين بعامة يخرج عن هذين

الاتجاهين؛ لأنّ أغلب تلك المواقف النقدية إمّا أنْ تكون موجهة صوب المنهج الذي اتبعه النحاة في البحث أو التأليف، و هذا هو الإطار الخارجي الذي تنضم مادة النحو تحته و لا يمكن أن يكون غير هذا، أو أنها - أقصد آراء المحدثين - كانت متعلقةً بأحد موضوعات النحو العربي، أو بجزئية من جزئياته بوصفها مادة نحوية فهي على وفق ذلك تنضوي داخل المادة التي تنتظم داخلياً تحت الاتجاه الخارجي الذي يحيط بالمادة ويكون شاملا لها.

ومما لاحظته أيضاً - فيما وقف عليه المحدثون من نقد للدرس النحوي - تلك المؤلفات التي أوقفها مؤلفوها على التصويب والتصحيح بحسب القاعدة، أو النظام النحوي المتداول عند القدماء، ومن ذلك ما وضعه الدكتور مصطفى جواد في كتابه (قل ولا تقل)[٣١] الذي ضمنه في كثير من مباحثه أخطاءً نحوية مستعملة بشكل خاطئ حاول تصويبها على وفق القاعدة النحوية المطردة، ويكون الكتاب بذلك من المؤلفات التي تعنى بالتصحيح والتصويب، و أقام الدكتور محمد ضاري حمادي كتابه الموسوم (حركة التصحيح اللغوي في العصر الحديث) الذي ذكر أنّ الخطأ اللغوي يتخذ: ((... أشكالاً مختلفةً ومظاهر شاملة، فيصيب الأصوات اللغوية، أو الصور البنيوية، أو التراكيب النحوية...))[٣٢].

ويقع ضمن هذا النوع من النقد النحوي عند المحدثين كتاب الدكتور إبراهيم السامرائي الموسوم (من حديث أبي الندى)، وهو كتاب حواري يقوم على الحوار النقدي في علوم العربية وغيرها من العلوم صوّب في كثير من مواضعه، وصحح كثيراً من الأخطاء التي شاع استعمالها، و من ذلك حديث أبي الندى عن (الجديد في اللغة الصحفية)[٣٣]، وكذلك كلامه على (الجديد الشائع من الأسماء المنسوبة)[٣٤]، وكذا فعل الدكتور أحمد مختار عمر في كتابه (العربية الصحيحة) فقد تناول فيه مباحث تتعلق بتشخيص الأخطاء التي حاول تصويبها ومعالجة الخطأ منها على أساس القاعدة النحوية، ومن ثم محاولة توجيهها توجيها صحيحاً على وفق ما يراه من صوابها نحويا، ومن أبواب الكتاب (الحد من القيود والتفريعات عند التقعيد)[٣٥]، وكذلك (تخليص بعض الأبواب من الاضطراب)[٣٦]، و(أفعل التفضيل بين قواعد النحو وواقع الاستعمال)[٣٧]، وكذلك تناول بعض مباحث التصريف كاشتقاق مفاعل ومفاعيل.

ولا يخرج عن هذا النوع من التأليف ما كتبه محمد العدنانيّ في كتابه (معجم الاغلاط

اللغوية المعاصرة) [٣٨]الدكتور نعمة رحيم العزّاويّ ووسمه بـ(التعبير الصحيح)، فقد ضمن كثيراً من مباحثه تصويبات نحوية انتقد صنيع القائلين بها محاولا استقصاء مسائلها، ومن ثمّ إرجاعها إلى الأصل النحوي القائم على القاعدة الصائبة، ومن أمثلة الكتاب قوله: ((قال المذيع من التلفاز في الساعة العاشرة من ليلة ١٩٨٩/٢/١٣: (الذي لم يحصل منه سوى على غير الهزيمة...) ووجه الخطأ في هذه العبارة أنّ حرف الجر فيها تأخّر عن الاسم، أي جاء بعده بدلا من أن يجيء قبله، ومعلوم أنّ نظم الجملة في العربية يقتضي أن يسبق حرف الجر الاسم الذي يقترن به هذا الحرف، أو يدخل عليه...))[٣٩]، وناقش كثيراً من الأخطاء النحوية المتداولة في أوساط العامة، ومن ثَمَّ عمل على تصويبها وفقاً للقاعدة النحوية الصحيحة، ومن ذلك استعمالهم الفصل بين المتضايفين بفاصل أجنبي وهو مما لا يجيزه جمهور النحاة.

وقد ألّف الشيخ محسن الأنصاريّ كتاباً سماه (فوائد لغوية) ضمنه كثيراً من الأخطاء التركيبية التي يقع فيها الكتاب، ومتكلمو العربية، وكذلك اشتمل الكتاب على مجموعة من العبارات الخاطئة التي درج العامة على النطق، أو كتابتها بشكل مغلوط وقد حاول فيه الشيخ تصويب تلك الأخطاء وقد ضمن الكتاب أيضا شيئا من الكلام على بعض أئمة النحو واللغة، كما بين موقفه من المولّد من الألفاظ، وقد عرض الشيخ إلى بعض أمثلة حروف المعاني في العربية وذكر لها أمثلة من الاستعمال القرآني لتلك الحروف[٤٠].

ويقع مؤلف الدكتور كاصد ياسر الزيديّ الموسوم (دراسات نقدية في اللغة والنحو) ضمن هذا النوع نقد النحو فضلاً عن ما ذكر فيه من مشكلات النحو التي عدّ منها: (تحكيم القواعد المنطقية، والقياس على غير أساس، وكذلك الجمود على النحو القديم)[٤١] وهي عنده من المشكلات المتأصلة في النحو العربي وجوداً، وتطبيقاً كما يرى الدكتور كاصد أن الكوفيين كانوا أقرب إلى الفهم اللغوي السليم من سواهم من النحاة، والدليل عنده أنهم لم يؤثروا الاحتكام إلى المنطق في استقراء اللغة، بل آثروا الاستعمال على الالتجاء إلى تحكيم المناهج العقلية والمنطقية في اللغة والنحو[٤٢].

وقد ظهر اتجاه آخر خطّأ النحاة وانتقدهم على مسائل دقيقة، وتفصيلية في الوقت نفسه مما فاتهم أو ما صرّح به بعض المحدثين من أنّ النحاة قد أخطأوا فيه وجانبوا الصواب، ومن

ذلك ما ألفه أحمد حاطوم ووسمه بـ(قواعد فاتت النحاة) ضمنه الكثير من القواعد التي زعم أن النحاة أغفلوا ذكرها، أو أنّها فاتتهم بالفعل، ومن ذلك ما يخصّ الجملة، والعبارة[٤٣]، والنحو الضمني والنحو المجرد[٤٤]، والقواعد المتداركة - وهو ما استدركه على النحاة - ومنها رتبة الفعل والاسم[٤٥]، وتنكير العلم[٤٦]، وغير ذلك من المباحث الكثيرة التي زعم أنها ممّا فات النحاة أمرها.

يُمثّل ذلك الاتجاه أيضاً كتاب الدكتور محمود حسن الجاسم الموسوم (القاعدة النحوية تحليل ونقد) الذي تناول فيه الكثير من المسائل التي جعلها مأخذاً على القدماء لإغفالهم الكثير من القضايا التي يرى أنها أساس في بناء القاعدة النحوية، إذ يقول: ((ونلحظ أنه بعدما نضبت الشواهد... لجأ النحاة إلى تلك الضوابط؛ لأهميتها في الدرس النحوي، واستغلوها في ميدان لا علاقة له بالجانب الاجتماعي و الواقعي للغة فأبعدوها عن سياقها وغايتها حين جعلوا منها ميدانا للرياضة الذهنية كما نجد في توليد المسائل المقيسة الافتراضية التي لا يمكن أن ينطق بها ابن اللغة، فإنّ تلك المسائل تمثل انشغال النحاة بالقواعد، وتلمّسهم لطاقاتها التجريدية الخلاقة، لذلك ولّدوا كلاماً بعيداً كلّ البعد عن روح اللغة، و هو الأمر الذي بدأت بذوره منذ كتاب سيبويه ثُمّ تطور مع الأيام حتى بلغ مبلغاً ملحوظاً في مؤلفات التنظير النحوي))[٤٧].

وكذلك اتّجه الدكتور عبد الجبار فتحي زيدان إلى مؤاخذة النحاة ونقدهم على كثير مما زعم أنه مخالف للصواب، إذ يقول: ((...إلاّ أنّ هذا الصرح تخلّلته ثغرات أحدثها ما زعمه النحاة من أقوال مختلفة، مخالفة للحقيقة ومجانبةً للصّواب... ومن هذه المزاعم إجماعهم على مجيء (لا) زائدة في مواضع في القرآن الكريم، واتّفاقهم على أنّ الجمل بعد النكرات المحضة لا تعرب إلاّ صفات، و إعرابهم النعت المقطوع مفعولا به، أو خبراً، و إصرارهم على أنّ المنصوب الثاني لـ(ظنّ) و أخواتها مفعول به وليس بحال، وعدهم (مَنْ) الموصولة من المعارف، وقولهم بأنّ المفعول معه لا يكون إلاّ منصوباً))[٤٨]، وفي نص الدكتور عبد الجبار المذكر آنفاً مآخذه التي أخذ على النحاة أنهم زعموه دون دليل علمي يثبت صحة ادعائهم، وقد ناقش كل مسألة ساقها وحاول إقامة الدليل من خلال الأمثلة والشواهد ليثبت صحة ما زعمه ويظهر القدماء بمظهر المخطئ المصر على خطأه.

ويقع ضمن هذا النمط أيضاً ما كتبه الدكتور أحمد عبد العظيم عبد الغني في كتابه الموسوم (القاعدة النحوية دراسة نقدية تحليلية) وقف فيه على كثير من مواطن الخطأ التي ذكر أن القدماء قد وقعوا فيها عن قصد، أو عن غير قصد[٤٩].

وقد ظهرت بعض المؤلفات التي تعنى بدراسة المصطلح النحوي ونقده أيضاً ومن تلك المؤلفات (المصطلح النحوي نشأته وتطوره حتى أواخر القرن الثالث الهجري) لعوض حمد القوزيّ[٥٠]، وكذلك كتاب (المصطلح النحوي دراسة نقدية تحليلية) لأحمد عبد العظيم عبد الغنيّ[٥١]، وقد ناقش فيه قضايا المصطلح النحوي - البصرية والكوفية - ووقف على كثير من المآخذ على وضع المصطلح النحوي عند الجمهور من المتقدمين والمتأخرين.

وأخلص ممّا تقدم أنّ المحدثين قد تباينوا في النقد والتقويم لما خلّفه القدماء لنا من تراث نحوي، فهم بين ناقد للمنهج و آخر للمادة النحوية وكذلك القاعدة التي أُسس النحو عليها، وأقيمت عليها أركانه، و آخرين حاولوا تصويب ما وقع الخطأ فيه في أثناء التداول اليومي للغة وهي اتجاهات على اختلافها اتفق أصحابها على نقد التراث النحوي بوجوه وصور مختلفة متخذين من تباين ثقافاتهم وتعددها منطلقاً لذلك النقد، و أعتقد أنّ سبب الاختلاف في هذه الصور راجع إلى اختلاف المناهج اللغوية، والنحوية التي تبناها الدارسون المحدثون فقد آثر كل واحد منهم على نفسه أن يرى أنّ للنحو عيوباً - كما تصوّروا - تختلف باختلاف من نقد النحو، أو لنقل تختلف باختلاف مناهج النظر النحوي عند المحدثين.

الخاتمة:

تبين ممّا عرض في البحث نتائج مهمة منها ما يأتي:

١- أن النقد النحوي أصيل الوجود في التراث النحوي، وقد مارس القدماء نقد المادة النحوية بشكل فطري منذ أيامهم الأول.

٢- تعددت الطرائق و الأساليب التي انتهجها القدماء في نقد النحو، فمنهم من كان ينتقد الشعراء على لحنهم، و آخر كان ينتقد المادة النحوية، وغيره كان ينقد المصطلح النحوي وهكذا تعددت الاساليب التي اتخذت للنقد النحوي.

٣- كثر النقد النحوي كثيراً في ممارسات المحدثين، فهم بين مطالب لتصحيح أخطاء القدماء في المادة النحوية، وآخر طالب بتغيير منهج الدرس النحوي وهم كثر، وآخر طالب بحذف بعض موضوعات النحو العربي، وغيره مما يندرج تحت عنوان النقد النحوي.

هوامش البحث

(١) ينظر: أثر القرآن في تطور النقد عند العرب، محمد زغلول سلام (تقديم الأستاذ محمد خلف الله أحمد): ٨.
(٢) ينظر: ومن معانيه أيضاً أنّه يأتي بمعنى (اللغة) ينظر: الأضداد، لابن الأنباري، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم: ٢٤٠، ومنها (الفهم، والفطنة) ينظر: الزاهر في معاني كلمات الناس، لأبي بكر الأنباري، تحقيق د. حاتم الضامن: ١ / ٢٦٨، واللحن بمعنى (الغناء) أيضاً. ينظر: تاج العروس، للزبيدي: ٣٦ / ١٠٠.
(٣) ينظر: الخصائص: ٢ / ٨.
(٤) ينظر: طبقات النحويين واللغويين، لأبي بكر الزبيدي: ٨.
(٥) ينظر: مراتب النحويين، لأبي الطيب اللغوي: ٥، و ينظر: معجم الأدباء، لياقوت الحموي: ١ / ٨٢، وينظر: المزهر في علوم اللغة وأنواعها، للسيوطي: ٢ / ٢٩٧.
(٦) ينظر: أحكام الوجوب في كتاب سيبويه، موزة المقبالي: ٦٩.
(٧) ينظر: في التفكير النحوي عند العرب، د. زهير غازي زاهد: ١٧.
(٨) ينظر: دراسات في نقد الأدب العربي من الجاهلية حتى نهاية القرن الثالث، د. بدوي طبانة: ٤٨.
(٩) ينظر: نقد الشعر، لقدامة بن جعفر: ١٣، ١٤.
(١٠) ينظر: تقويم الفكر النحوي، د.علي أبو المكارم: ١٠، وينظر: الأحكام التقويمية في النحو العربي، نزار بنيان الحميداوي: ٧.
(١١) ينظر: الأُسس المعرفية والمنهجية للخطاب النحوي العربي، د. فؤاد بو علي: ١، ٥.
(١٢) ينظر: الحلقة المفقودة من تاريخ النحو العربي، د. عبد العال سالم مكرم: ١١٧، وينظر: اتجاهات النقد الأدبي في القرن الرابع الهجري، د. أحمد مطلوب: ١٨.
(١٣) ينظر: الكتاب، سيبويه: ١ / ٢٥.
(١٤) التراكيب غير الصحيحة نحوياً في الكتاب لسيبويه دراسة لغوية، د. محمود سليمان ياقوت: ٤٢.
(١٥) ينظر: الرد على النحاة، لابن مضاء القرطبي (مقدمة الدكتور شوقي ضيف): ٢٣ وما بعدها.

(١٦) ينظر: ضحى الإسلام، أحمد أمين: ٢ / ٥٣، وينظر: مراكز الدراسات النحوية، د. عبد الهادي الفضليّ: ٢٥.
(١٧) ينظر: مقالات في تاريخ النقد العربي، د. داود سلوم: ٦٣ وما بعدها.
(١٨) ينظر: طبقات النحويين واللغويين: ٦٨ وما بعدها.
(١٩) ينظر: طبقات النحويين واللغويين: ١٠٨، ١١٠.
(٢٠) بغية الوعاة، للسيوطي: ٢ / ٨.
(٢١) الفهرست، لابن النديم: ١ / ٨١.
(٢٢) ينظر: الاحتجاج بالشعر الواقع ودلالته، د. محمد حسن حسن جبل: ٨٠ وما بعدها.
(٢٣) ينظر: الاقتراح في علم أصول النّحو، السيوطي: ٨٩ وما بعدها، و ينظر: الرواية والاستشهاد باللغة، محمد عيد: ١٠٩ وما بعدها.
(٢٤) ينظر: اللغة بين المعيارية والوصفية، د. تمام حسان: .
(٢٥) ينظر: مناهج تجديد في النحو و البلاغة والتفسير والأدب، أمين الخولي: ٢٠ وما بعدها.
(٢٦) ينظر: المخزومي ونظرية النحو العربي، د. زهير غازي زاهد: ٣٣.
(٢٧) الدرس النحوي في بغداد: ٥٦.
(٢٨) ينظر: تشذيب منهج النحو: ٢٢، ٢٣، ٢٤.
(٢٩) ينظر: تجديد النحو: ٢٣ وما بعدها، وتيسير النحوي التعليمي قديماً وحديثاً:٥٦ وما بعدها.
(٣٠) ينظر: تيسير الإعراب، ظاهر شوكت البياتي: ٩.
(٣١) ينظر: قل و لا تقل: ٢٦، ٤٣، ٤٧ وغيرها الكثير من الأمثلة والشواهد.
(٣٢) حركة التصحيح اللغوي في العصر الحديث: ٩.
(٣٣) ينظر: من حديث أبي الندى: ١١٧ وما بعدها.
(٣٤) ينظر: نفسه: ١٤٣ وما بعدها.
(٣٥) ينظر: العربية الصحيحة، د. أحمد مختار عمر: ٩١ وما بعدها.
(٣٦) ينظر: العربية الصحيحة: ٩٥ وما بعدها.
(٣٧) ينظر: نفسه: ١٣٣.
(٣٨) ينظر: معجم الأغلاط اللغوية المعاصرة، محمد العدناني: ٢٠، ٢١، ٤٠ وغيرها.
(٣٩) التعبير الصحيح، د. نعمة رحيم العزاوي: ٨٨.
(٤٠) ينظر: فوائد لغوية، الشيخ محسن الأنصاري: ١٣، ١٤، ١٥ وما بعدها.
(٤١) ينظر: دراسات نقدية في اللغة والنحو، د. كاصد ياسر الزيدي: ٦٦ وما بعدها.
(٤٢) ينظر: نفسه: ٦٩.
(٤٣) ينظر: قواعد فاتت النحاة، أحمد حاطوم: ١١.

(٤٤) ينظر: نفسه: ١٣.
(٤٥) ينظر: نفسه: ١٠٣.
(٤٦) ينظر: نفسه: ١٦٧.
(٤٧) القاعدة النحوية تحليل ونقد، د. محمود حسن الجاسم: ١٥.
(٤٨) من مزاعم النحاة، د. عبد الجبار فتحي زيدان: ٣.
(٤٩) ينظر: القاعدة النحوية دراسة نقدية تحليلية، د. أحمد عبد العظيم عبد الغني: ٢١، ٢٧ وما بعدها.
(٥٠) ينظر: المصطلح النحوي نشأته وتطوره، عوض حمد القوزي: ١٦ وما بعدها.
(٥١) ينظر: المصطلح النحوي دراسة نقدية تحليلية، د. أحمد عبد العظيم عبد الغني: ٧٥، ٨٠ وغيرها.

قائمة المصادر والمراجع

- اتجاهات النقد الأدبي في القرن الرابع الهجري، د. أحمد مطلوب،ط ١، بيروت، ١٩٧٣م.
- أثر القرآن في تطور النقد عند العرب، محمد زغلول سلام، ط ١، مكتبة الشباب، مصر.
- الاحتجاج بالشعر الواقع ودلالته ، د. محمد حسن حسن جبل، دار الفكر العربي، القاهرة
- الأحكام التقويمية في النحو العربي دراسة تحليلية، نزار بنيان شمكلي ضمد الحميداويّ، ط ١، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ٢٠١١ م.
- أحكام الوجوب في كتاب سيبويه، موزة المقباليّ، ط ١، دار الانتشار العربي، بيروت – لبنان، ٢٠٠٩ م.
- الاستشهاد والاحتجاج باللغة رواية اللغة والاحتجاج بها في ضوء علم اللغة الحديث، محمد عيد، ط ٣، عالم الكتب، القاهرة، ١٩٨٨ م.
- الأُسس المعرفية والمنهجية للخطاب النحوي العربي، د. فؤاد بو علي، ط ١، عالم الكتب الحديث، إربد، ١٤٣٢ هـ، ٢٠١١ .
- الأضداد، لمحمد بن القاسم الأنباري (ت ٣٢٨ هـ)، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، بيروت، ١٩٧٨ م.

- الاقتراح في علم أصول النّحو، لجلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي (ت ٩١١ هـ)، تحقيق محمد حسن محمد حسن اسماعيل الشافعي ، ط ١، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ١٤١٨ هـ، ١٩٩٨ م.
- بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، لجلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي (ت٩١١هـ)، تحقيق مصطفى عبد القادر عطا، ط ١، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ١٤٢٥ هـ، ٢٠٠٤ م
- تاج العروس من جواهر القاموس، السيد مرتضى الحسيني الزبيدي (ت ١٢٠٥ هـ)، تحقيق مجموعة من المحققين، دار التراث العربي، الكويت.
- تجديد النحو، د. شوقي ضيف ، ط ٢، دار المعارف، مصر، (د. ت).
- التراكيب غير الصحيحة نحوياً في الكتاب لسيبويه دراسة لغوية، د. محمود سليمان ياقوت، دار المعرفة، الاسكندرية، ١٩٨٨ م، (د. ط).
- تقويم الفكر النحوي، د. علي أبو المكارم، ط ١،دار الثقافة – بيروت، ١٩٧٥ م
- تيسير الإعراب، ظاهر شوكت البياتي، ط ١، مجد المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت – الحمرا، ١٤٢٥ هـ، ٢٠٠٤ م.
- تيسير النحو التعليمي قديما وحديثا مع نهج تجديده ، د. شوقي ضيف، ط ٢، دار المعارف، القاهرة.
- حركة التصحيح اللغوي في العصر الحديث، د. محمد ضاري حمادي، دار الرشيد للنشر، بغداد، ١٩٨٠ م.
- الحلقة المفقودة من تاريخ النحو العربي، د. عبد العال سالم مكرم، مؤسسة الوحدة للنشر والتوزيع، الكويت، ١٩٧٧ م.
- الخصائص، لأبي الفتح عثمان بن جني، تحقيق محمد علي النجار، ط ٢، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ١٤٣١ هـ، ٢٠١٠ م.
- دراسات نقدية في اللغة والنحو، د. كاصد الزيدي، ط ١، دار أسامة للنشر والتوزيع، الأردن – عمان، ٢٠٠٣ م.
- الدرس النحوي في بغداد، د. مهدي المخزومي، ط ٢، دار الرائد، بيروت – لبنان، ١٤٠٧ هـ، ١٩٨٧م.
- الرد على النحاة ، لابن مضاء القرطبي، تحقيق د. شوقي ضيف، دار المعارف، مصر، ١٩٨٢ م.

- الزاهر في معاني كلمات الناس، لأبي بكر الأنباري، تحقيق د. حاتم صالح الضامن، ط ١، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٩٢ م.
- ضحى الإسلام، أحمد أمين، ط ٢، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، ١٩٣٨ م.
- طبقات النحويين واللغويين، لأبي بكر محمد بن الحسن الزبيدي الأندلسي، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، ط ٢، دار المعارف، مصر، ١٩٨٤ م.
- العربية الصحيحة، د. أحمد مختار عمر، ط ٢، عالم الكتب، القاهرة، ١٩٩٨ م.
- الفهرست، لأبي الفرج محمد بن إسحاق المعروف بابن النديم (ت ١٠٤٧ هـ)، تحقيق رضا تجدد، (د. ط. دار نشر. ت).
- فوائد لغوية، للشيخ محسن الأنصاري، ط ٢، منشورات فرصاد، ١٤٣٠ هـ، ٢٠٠٩ م.
- في التفكير النحوي عند العرب، د. زهير غازي زاهد، ط ١، عالم الكتب و مكتبة النهضة العربية، بيروت، ١٤٠٦ هـ، ١٩٨٦ م.
- القاعدة النحوية تحليل ونقد، د. محمود حسن الجاسم، ط ١، دار الفكر، دمشق، ١٤٢٨ هـ، ٢٠٠٧ م
- القاعدة النحوية دراسة نقدية تحليلية، د. أحمد عبد العظيم عبد الغني، دار الثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة، ١٤١٠ هـ، ١٩٩٠.
- قل و لا تقل، د. مصطفى جواد، ط ٢، مكتبة النهضة العربية، بغداد، ١٩٨٨ م
- قواعد فاتت النحاة، أحمد حاطوم، ط ٢، شركة المطبوعات للتوزيع والنشر، بيروت – لبنان، ٢٠٠٧م.
- اللغة بين المعيارية والوصفية، د. تمام حسان، ط ٤، عالم الكتب، القاهرة، ٢٠٠٠ م.
- المخزومي ونظرية النحو العربي، د. زهير غازي زاهد، ط ١، دار الضياء للطباعة والتصميم، النجف الأشرف، ١٤٢٧ هـ، ٢٠٠٦ م.
- مراتب النحويين و اللغويين، لعبد الواحد بن علي أبو الطيب اللغوي(ت ٣٥١ هـ)، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، مطبعة نهضة مصر بالفجالة، القاهرة.
- مراكز الدراسات النحوية، د. عبد الهادي الفضلي، ط ١، مكتبة المنار، الزرقاء – الأردن، ١٤٠٦هـ، ١٩٨٦م.

- المزهر في علوم اللغة وأنواعها، لجلال الدين السيوطي (ت ٩١١ هـ)، شرح وتعليق محمد أبو الفضل إبراهيم، ومحمد أحمد جاد المولى، وعلي محمد البجاوي، المكتبة العصرية، بيروت - لبنان، ١٤٣٠هـ، ٢٠٠٩ م.
- المصطلح النحوي نشأته وتطوره حتى أواخر القرن الثالث الهجري، د. عوض حمد القوزي، ط ١، عمادة شؤون المكتبات - جامعة الرياض، ١٤٠١هـ، ١٩٨١م.
- معجم الأغلاط اللغوية المعاصرة، محمد العدناني، ط١، مكتبة لبنان، ١٩٨٤م.
- مقالات في تأريخ النّقد العربي، د. داود سلوم ، دار الرشيد للنشر، العراق، ١٩٨١م.
- من حديث أبي الندى (أحاديث وحوار في الأدب واللغة والفن والتاريخ)، د. إبراهيم السامرائي، ط١، دار واسط للنشر، ١٩٨٦م.
- من مزاعم النحاة، د. عبد الجبار فتحي زيدان، ط ٣، مكتبة الجيل العربي، الموصل، ١٤٣٢هـ، ٢٠١١م.
- مناهج تجديد في النحو والبلاغة والتفسير والادب، امين الخولي، ط١، دار المعرفة، ١٩٦١م.
- نقد الشعر، لأبي الفرج قدامة بن جعفر بن قدامة بن زياد البغدادي (ت٣٣٧هـ)، ط ١، مطبعة الجوائب، قسطنطينة، ١٣٠٢هـ.